الاثر الثقافي والحضاري للعرب في اسيا وافريقيا خلال الفترة (٤٠-٩٠٠هـ)

The cultural and civilizational impact of the Arabs in Asia and Africa during the period (40-900 AH)

م.م. اطياف مجيد حسين

Assistant Lecturer: Atyaf M. Hussein

ماجستير آداب في التاريخ الاسلامي

وزارة التربية / مديرية تربية الكرخ / ٢

mmtyftyf@gmail.com

٠٧٧٥٥٥٢٦٠٣٢

الاثر الثقافي والحضاري للعرب في اسيا وافريقيا خلال الفترة (٤٠-٩٠٠هـ)

م.م. اطياف مجيد حسين

مستخلص

تناول البحث دراسة منطقة جغرافية لا نستطيع أن نقول أنها تمتلك مقومات حضارة قديمة كتلك الحضارات التي قامت في بلاد الرافدين ووادي النيل وغيرها من حضارات العالم ، إذن لديها حضارة في نظر مواطنيها كانت حضارة تعتز بهويتها وبمقومات كيانها ، وفي الوقت الذي كانت فيه تلك المنطقة (غرب أفريقيا) تعيش وفق نظام بسيط يتخذ من الصيد والرعي وسيلة للعيش ، ومن أغصان الأشجار والخرز وسيلة لستر العورة ، ومن الطين والأخشاب وسيلة لبناء السكن ، وعلى تقديس الملوك وعدهم آلهة ، فضلاً عن تقديس الأفاعي وتقديم القرابين للآلهة ، أمام كل ذلك وغيره جاء الإسلام ليغير كل ذلك بسلام وبشكل تدريجي لا يتعارض والثوابت التي أعتاد الناس هناك عليها . والرائع في الأمر أن الإسلام لم يتعامل بحزم مع المسائل التي لا تتعارض مع العقيدة وقضى عليها بشكل تدريجي فهو لم يحارب الهوية الأفريقية ولم يفرض على السكان مسألة تخليهم عن أفريقيتهم ويحولهم إلى عرب بشكل قسري ، بل على العكس عزز في نفوس الناس هويتهم لا بل شملهم بهوية أوسع وهي الهوية الإسلامية الشاملة لكل المنضوين تحت لواءها ، كما أن الثابت الآخر وهو اللغة والتي لم يحاول الإسلام القضاء عليها وإجبار السكان على الكتابة والتكلم باللغة العربية فبقيت لغتهم سائدة وهم في نفس الوقت يقبلون على اللغة العربية كونها لغة دينهم الجديد ، وهو أمر معاكس تماماً لما فعله الأوربيين حينما وصلوا أفريقيا من خلال فرض اللغة الانكليزية أو الاسبانية أو الفرنسية على السكان . ففي الوقت الذي كان الأفريقي يعتز بمعتقداته ، تقبل الإسلام كدين جديد لما يحمله من تسامح ومحبة ورفق في الدعوة من قبل دعاته سواء كانوا تجاراً أو مهاجرين أو فقهاء ، فكانت التحولات والتغييرات التي حدثت

في أفريقيا ذات نفع كبير على المنطقة من خلال دمجها في حضارة عريقة ومتماسكة هي الحضارة الإسلامية وقسمنا دراستنا الى ثلاثة محاور : المحور الاول : التاريخ السياسي ، المحور الثاني : الاثر الاجتماعي في اسيا وافريقيا، ألمحور الثالث : التاريخ الحضاري لاحداث تاريخ غرب آسيا القديم

Abstract

The research deals with a geographical area in Africa, it has element of an ancient civilization, built approach not the civilizations that stood in Mesopotamia and the nile valley and other civilizations, but it considers in the point of view of its citizen a civilizations prond of its identity and the elements of its entity. at a time when that region (Africa) lives according to a simple system based on hunting, grazing as a mean of living and from the branchs of trees and beads to cover private parts. and from the mud, wood a way to build houses, and sanctifing kings, considering them as a god, as well as sanctifing sankes and offering sacrifices to the gods, finally Islam religion came to change all that peacefully and gradually without contradict with principles that people used to do there. The wonderful thing is that Islam did not deal firmly with issues that are inconsistent with the doctrine and destroyed them gradually, Islam did not fight African identity, nor impose on the population to abandon their identity as an African citizen and converted them to be Arab by force, but on the contrary. strengthened in the hearts of people their identity more over gave them a wider identity which is comprehensive identity of islam as it given to all those live under its banners, and another element, the language. Islam did not try to remove it, or force the residents to write and speak Arabic Language. their language remained prevalent and they are at the same time accept. The Arabic Language as the Language of their new religion , which the exact opposite of what Europeans did when they arrived in Africa through the imposition of English or Spanish or French on the population while the African proud of his beliefs , but he accepted Islam as a new religion because it calls to tolerance , love and kindness in the call by preachers ,

whether they are traders or migrants or scholars , so the shifting and changings which happened in Africa were very useful to region through integration into an ancient , coherent civilization which is Islamic civilization.

المقدمة

يفتخر كل شعب من الشعوب بتاريخه وحضارته ويحاول أن يجعلهما أفضل من بقية الحضارات مركزاً على الثوابت والمميزات في تلك الحضارة ، والحضارة بمعناها الأساس لم تكن لتشمل الدول المتقدمة فقط ، فأصل الحضارة البدو كما ذكر ذلك المؤرخ أبن خلدون في مقدمته مقسماً العمران إلى عمران بدوي وعمران حضري وربما يعتبر البدوي نفسه ذو حضارة مدافعاً عما يمتلكه من مقومات تكاد تكون قليلة أو معدومة ، فهو يعمل في الزراعة ويقوم بتربية الحيوانات التي يأكل من لحومها ويشرب من ألبانها ، لا بل أنه حتى في حالة الشعوب البعيدة في ماضيها عن الحضارة تفتخر بما قامت به لتسير فيما بعد في ركب الحضارة ، وقد تكون في التجمعات الرغوية البسيطة في الصحراء الأفريقية الكبرى دليلاً على بناء حضارة في تلك البقاع والأماكن الواقعة جنوبها فيما بعد ، فالمجموعة التي كانت تبحث عن الماء القليل لتستقر حوله بدأت توفر حول ذلك المكان مستلزمات العيش المؤهلة للاستقرار وقد ساعدها في ذلك توافد التجار من المغرب الإسلامي للذهاب نحو أفريقيا جنوب الصحراء والذين احتاجوا بشكل بديهي للماء والدليل ، فلعب سكان تلك الواحات ومراكز تجمع المياه وهم من البربر دوراً في سقي وإطعام أولئك التجار ومن ثم إرشادهم إلى الطريق الصحيح الأمن مقابل حصولهم على ضرائب معينة مكنتهم من الاستقرار وبالتالي تكوين تجمعات سكانية أصبحت فيما بعد مدناً إلا أن تلك المدن كانت متأخرة حضارياً عن الحضارات الأخرى في العالم كحضارة وادي النيل في مصر ووادي الرافدين في العراق والسبأية والحميرية والبيزنطية والفارسية والهندية ، لكنها كانت تعتز بنواة حضارتها التي تكاد لا تذكر قياساً لبقية الحضارات ، ففي الوقت الذي كانت الحضارات تعتز بعمرانها وعلومها وفنونها وبعادات وتقاليد شعوبها ، كانت أفريقيا تبني دور مواطنيها من القصب أو

الأخشاب ، وفي الوقت الذي كانت العلوم والفنون تنتشر في اسيا بلدان تلك الحضارات.

لكننا كلما اقتربنا من بدء الدعوة الإسلامية ووصول التجار المسلمين إلى أفريقيا كلما بدأت بوادر الحضارة تظهر في تلك البقاع ، فترى المنازل بدأت تُبنى من الطين واللبن والحجارة ، والملابس بدت أكثر احتشاماً وزينة ، وقس على ذلك من أمور أدخلها العرب ومن ثم المسلمين إلى أفريقيا كأدوات الزراعة كالمحراث والفؤوس ، كما تعلموا منهم طرق زراعة سفوح الجبال على شكل مصاطب ، وسيطروا على مياه الأمطار من خلال بناء السدود لخزن المياه ، فضلاً عن تطوير وسائل النقل باستخدام الجمل والحصان بعد أن كانت البضائع تنقل على ظهور الرجال . وقسمنا دراستنا الى ثلاثة محاور : المحور الاول : التاريخ السياسي ، المحور الثاني : الاثر الاجتماعي في اسيا وافريقيا، ألمحور الثالث : التاريخ الحضاري لاحداث تاريخ غرب آسيا القديم.

المحور الاول

التاريخ السياسي

لعب العامل السياسي هو الآخر، دورا كدافع مباشر للتوسعية الأوروبي، فالشعور القومي كان يغذي هذا العامل ويتغذى منه في نفس الوقت، فالمد الاستعماري كان تعبيرا عن قوة الدولة القومية من جهة وشحذا للعزة القومية من جهة أخرى، ففرنسا التي تشعر بالمهانة الهزيمتها في عام ١٨٧١ وفقدها لأجزاء من ترابها الوطني، كانت تجد في التوسع الاستعماري موضوعا للانتشار ووسيلة لاسترداد مكانتها كدولة كبرى. قد كانت الدول الأوروبية تتنافس على توسيع ممتلكاتها وراء البحار لتدعيم نفوذها الدولي، ونتيجة انتشار الانقلاب الصناعي في القرن ١٩م وفي الوقت الذي ظهرت فيه الدول القومية نتيجة صراعها مع الإمبراطوريات الرجعية، أن هذه الدول، بعد أن أصبحت دولا صناعية كذلك، أخذت تناضل فيما بينها من أجل الاستيلاء على الأسواق برغبة لا تقل عنها خطورة وهي رغبة التمتع بارتفاع السمعة السياسية، وذلك نتيجة لنمو الشعور القومي، وكتب أحد

الاقتصاديين الفرنسيين في القرن ١٩م يقول : (ينبغي أن يحتل التوسع الاستعماري المكان الأول في وعينا القومى إنها مسألة حياة أو موت لفرنسا، فأما أن تستحوذ على مساحات افريقية شاسعة أو تصبح في مدى قرن أو قرنين دولة من الدرجة الثانية) أمام تلك الحالة التي كانت عليها الشعوب الأفريقية والتي تم الحديث عنها في مقدمة ووالتي تتمثل في فقدان للحقوق والواجبات وتخلف وما إلى ذلك ، وصل الإسلام المنطقة يحمله بشكل سلمي وسلس تجار حاملين معهم مواد تجارية تنتج في بلادهم وتفتقرر ل إليها القارة الأفريقية كالملابس والحبوب والملح وما إلى ذل ، ويستوردوا بدلا عنها منتجات القارة ومن الذهب والعاج والنحاس والرقيق وغيرها و لقد تميز الإسلام عن بقية الأديان السماوية كونه لا يمتلك طبقة كهنوتية تبشيرية و كما هو الحال في الديانة المسيحية [١]

كما أنه ليس دينا مغلقاً كالديانة اليهودية ، فهو يدعو رو الناس للدخول فيه بالتي هي أحسن ، وهو ما فعله كل زائر لتلك القارة سواء كان تاجراً أور مهاجراً أو متفقها في الدين داعياً له ، فالأفريقي أنجذب لذلك التاجر الذي توضأ أمامه ثم و صلى ، ثم اندهش وانجذب الملابسه النظيفة والمحتشمة والتي تختلف عن ما اعتاد الأفارقة و ي على البسه من ملابس تستر العورة فقط ، كما أن تعامل التاجر الأفريقي مع التاجر المسلم في و البيع والشراء جعله في تماس مباشر معه قريباً من عاداته وتقاليده سواء في العمل أو المعيشة و ، فبعد أن اعتاد الأفريقي على التعامل بالربا والغش وعدم الصدق في موعد تسديد ثمن البضاعة ، شاهد أمامه التاجر المسلم يرفض الغش ويحاربه ويمنع الربا ويصدق في مواعيده : لكل ذلك حاول الأفارقة التقرب من التجار المسلمين والتعامل معهم ليتبع تلك : الخطوة استقرار بعض أولئك التجار في أفريقيا وتزوجهم من النساء الأفريقيات وبالتالي: اندماجهم في ذلك المجتمع كما أن توافد الهجرات إلى أفريقيا قادمة من المغرب الإسلامي [٢]

ومصر وعُمان واليمن والعراق وبلاد الشام أسهم بشكل كبير في تعريف الأفارقة بالحضارة والإسلامية وأخذ ما هو جيد منها ودمجه في حضارتهم الأمر

كما أن حكام الدول والإمبراطوريات التي قامت على تلك الأرض بدءوا يتطلعون لربط تاريخهم وحضارتهم بتاريخ وحضارة القادمين من بلاد الإسلام ، فنرى ملك غانة الوثني يقرب من بلاطه كل مسلم يسمع أن لديه موهبة معينة أو قدرة على عمل ما يسهم في ربط مملكته بركب الحضارة ، فنراه يختار وزرائه وصاحب بيت ماله ومترجميه من بين التجار المسلمين الموجودين في بلاده والذين عملوا على تطوير البلاد وتنظيم الأمور المالية والإدارية فيها[٣]

وفي مثل ظروف أفريقيا فأن التحول والتغيير الذي حصل بوصول الإسلام إليهم يعد حقيقياً وكبيراً ، فتحولهم إلى مجتمع متحضر بفضل الإسلام لم يعني لهم وللمسلمين هناك إلغاء الماضي ونسيانه ، لكن الإفادة من الماضي والحاضر للنجاح ثفي المستقبل ، فظهرت لهم معاني جديدة لم يكونوا يعلموا عنها شيئاً ، فبالحضارة علموا أن المجتمع المسلم المتحضر تلغى فيه الفوارق بين الناس فيتساوون في الحقوق والواجبات ومستوى المعيشة وتسود العدالة الاجتماعية وتحترم فيه حقوق الفرد وتلغى الطبقية وعلى ذلك الأساس تقبلوا الدين الإسلامي حكاماً وشعوباً ، فالشعب تمسك به كونه دين للتسامح والمحبة والحضارة ، والحاكم قبل به وتمسك به كونه دين التجمع والوحدة وهو ما كان يدعو له الأفارقة فبدلاً من وحدة القبيلة أو المدينة أصبحت الوحدة عامة شاملة لكل المنضوين تحت راية الإسلام فهي أمة إسلامية واحدة ، والإسلام لم يأتي إلى أفريقيا لينهي دور حكامها ويستبدلهم بحكام مستوردين للمنطقة من خارجها ، بل على العكس أبقى على أولئك الحكام وتعامل معهم وفق مبدأ التسامح والذي انعكس ايجابياً على طريقة تعاملهم مع رعاياهم من المسلمين [٤]

وهو ما يُشاهد جلياً في مملكة غانة الإسلامية التي قسمت عاصمتها إلى قسمين الأول للملك ولرعيته ، والقسم الثاني لشعبه الذي يشكل المسلمين نسبة كبيرة منه .لقد احتاج التعايش بين الأفارقة وبين المواطنين الجدد من المسلمين تعرف أحدهما على لغة الآخر ليتمكنوا من التفاهم فيما بينهما لاسيما في منطقة تكاد تصل لغاتها ولهجاتها المحلية إلى حوالي الثمانمائة مقابل لغة واحدة وافدة هي اللغة

العربية ، فضلاً عن أن تلك اللغات واللهجات تعد مكتسباً أساسياً لدى الأفارقة لا يمكن الاستغناء عنه ، إلا أن حكمة الإسلام ورجاله جعلت من اللغة العربية بكاملها أو ببعض مفرداتها مقبولة لدى أولئك السكان ، ففي دولة مالي الإسلامية كان السكان يشجعون أبنائهم على حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية [٥]

وفي بعض الأحيان تقاضي الضرورة استخدام القيود التي يربطوا بها أقدام أبنائهم ليحفظوا القرآن الكريم فاللغة العربية وصلت إلى تلك المنطقة ودخلت في لغة البلاد الأم دون إلغاء تلك اللغة التي يعتز بها السكان الأصليين لا بل نتج عن ذلك التعامل سيادة حروف ومفردات اللغة العربية وبالتالي وصول اللغة العربية ككل للمنطقة والتي أصبح الأفريقي المسلم بأشد الحاجة لها ليتمكن من قراءة القرآن الكريم ، فضلاً عن ذلك فأن تلك اللغة تمتاز بكونها واضحة ومنطقية ومرنة وسهلة من خلال قدرتها على الهيمنة على لغات عديدة ، كما تميزت بخاصية الاختصار التي جعلتها تعبر عن الكثير بالقليل ، وقد عبر عن مكانتها توماس أرنولد بقوله : ((لقد بلغت اللغة العربية حداً يفوق كل وصف من الغنى والجمال وإذا ما تعلم الأفريقيون هذه اللغة أصبحت لغة التخاطب وهي إلى ذلك لغة شريعة وقانون مكتوبة حلت محل نزوات شيخ القبيلة الاستبدادية وهذا تغير يعتبر في ذاته تقدماً هائلاً في الحضارة وفي حوالي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في مدن غرب أفريقيا [٦]

فيها كتبت الدواوين والسجلات الرسمية ، كما أصبحت اللغة الرسمية في دولة السنغاي ووردت المراسلات بين الملوك السودان وحكام مصر والمغرب باللغة العربية وهو يشير إلى انتشار اللغة العربية هناك دون إكراه بل برغبة سكان البلاد الأصليين ، وكان الخط السائد في السودان الغربي هو الخط المغربي فيقول المؤرخ القلقشندي عن دولة مالي : إن بهذه المملكة الوزراء والقضاة والكتاب والدواوين ، وأن السلطان لا يكتب شيئاً في الغالب ، بل يكل كل أمر إلى صاحب وظيفته من هؤلاء فيفصله ، وكتابتهم على طريقة المغاربة لقد تقبل الأفارقة ذلك التحول الطارئ والكبير في حياتهم لما لمسوه من المسلمين من حسن أخلاق ومعاملة[٧]

فالإسلام لم يكن في يوم ما ليفرق بين أبيض أو أسود ولا بين عربي وغير عربي تأكيداً لقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (سورة الحجرات الاية : ١٣) صدق الله العظيم فتعامل الإسلام مع الناس ومنهم الأفارقة السود على هذا الأساس الذي جعله يتقدم في أفريقيا بسبب القضاء على كل إحساس باحتقار الأسود أو معاملته على أنه من طبقة منحطة كما كان عليه الحال في المسيحية . كما أننا إذا ما قارنا عملية التحول والتغيير الحضاري في أفريقيا حينما وصلها الإسلام وبين التحول الذي حصل على يد البرتغاليين وغيرهم من المستعمرين حينما وصلوا القارة الأفريقية ، فالمسلم الداعي لدينه في أفريقيا نجح نجاحاً كبيراً إذا ما قورن بالإرساليات المسيحية هناك ، فالأسود المتنصر يميل للإحساس بأن أبناء دينه من الأوربيين ينتمون إلى لون من الحضارة لا يلائم طبائعه في الحياة ، في حين يشعر في المجتمع الإسلامي بأنه أكثر تعلقاً به واطمئناناً إليه ، فالمواطن النيجيري مثلاً مقتنع بأن دخوله في الإسلام لا يحتاج منه أن يفقد قوميته [٨]

المحور الثاني : الاثر الاجتماعي في اسيا وافريقيا

ان تغييرات انقلابية في الحياة الاجتماعية ، وهو لا يقوض نفوذ الأسرة أو سلطة الجماعة ، ولا توجد هوة بين الداعي للإسلام والمتحول إليه فكلاهما أمام الله واحد ، ولا يعني الدخول في الإسلام ترك شؤون الأسرة والحياة الاجتماعية أو عدم احترام حكام البلاد الأصليين وإنما بالإسلام وحضارته ينتقل الإنسان إلى منزلة أرقى وفكرة أسمى تحرره من الأوهام والخرافات . لقد أدى اعتناق الأفارقة للإسلام إلى إعطاء الحضارة الأفريقية طابع إسلامي كبير صبغت بها الطقوس الحياتية الأساسية التي يتميز بها مجرى حياة الفرد من ولادته وحتى مماته ، فقد تركت الشريعة الإسلامية أثرها الكبير على حياة الأسرة الأفريقية من حيث عادات الزواج والإرث ودفع الدية وغيرها ، مع الحفاظ على المكتسبات الأصلية للحضارة الأفريقية في ذلك المجال ، إذ عدلت بعض التشريعات في ضوء النظم الاجتماعية التي

كانت سائدة في مجتمع الساحل الشرقي لأفريقيا قبل انتشار الإسلام ، فقد طبقت الشريعة الإسلامية في أمور الأرث مثلاً ولكن بما لا يتعارض مع ما كان سائداً في مجتمع الساحل من أنماط تقليدية تتعلق بحقوق الملكية [٩]

لقد أعتبر الأفارقة عملية التحول والتغيير الحضاري في بلادهم بمثابة نصر لهم ، فقد ضمت في ثناياها الكثير من الفوائد وعلى كافة الأصعدة ، فهي عملية تحول من الانعزال والوحشية والتعري إلى الوحدة والتقدم والانفتاح على الآخرين والنظافة ولبس الملابس المحتشمة ، فهم بدلاً من أن يكونوا ضمن إطار القبيلة الواحدة التي تدخل في حروب مستمرة مع القبائل الأخرى أصبحوا أعضاء ضمن الأمة الإسلامية الواسعة الأرجاء ، كما أن حكامهم وملوكهم بدلاً من أن يحكموا بلدان معزولة ويطيعهم الناس ضمن إطار الخوف والتبجيل الزائف ، أصبحت طاعتهم واجبة من قبل جميع الرعية وفق تعليمات إلهية بطاعة أولي الأمر وحينما نتابع عملية التحول الحضاري تلك نلاحظ أن الإسلام سمح للسكان الأفارقة بالإبقاء على مكتسباتهم الحضارية القديمة [١٠]

التي لا تتعارض والشرع الإسلامي والتي زالت فيما بعد بمرور الزمن ، ومنها قيامهم في شرق أفريقيا باختبار الملك الجديد وقياس مدى عدله بين الناس ، فإذا ما أخطأ وأرتكب جرائم بحق شعبه فأن القتل سيكون مصيره كونه ممثلاً الله على الأرض ، بل كان يلقب بـ (وقليمي) وتعني (أبن الرب الكبير ، كما أن أولاده سوف يمنعون من تقلد الحكم في البلاد ويبدو إن الإسلام في تلك الحالة تعامل بحذر وبالتدريج من خلال إقناع الأفارقة أن الملك هو بشر وليس أبن الله لان ذلك يتعارض مع الشرع ، وأبقى على طريقة اختيار الملك ومعاقبته إذا أصبح ظالماً بسبب عدم مساسها بالشرع ولشدة قناعة الأفارقة بأن المسلمين هم سبب دخول الحضارة إليهم ، وأن للعرب كونهم من أوائل الواصلين إلى أفريقيا الفضل الأكبر في ذلك التحضر فقد أطلقوا على الإنسان المتحضر اسم (staaribika) أي استعرب ، وسموا الحضارة في لغتهم (UStaarabu) أي استعراب واللفظ مشتق من استعرب أي أصبح عربياً أو كما يعنونه هم أصبح متحضراً[١١]

فالأفريقي الأسود يصبح مساوياً للمسلمين الآخرين حال دخوله في الإسلام ، فلا يحول دون ذلك لونه أو جنسه ، والترحيب الذين كان يلقاه الوثنيون الأفارقة حال دخولهم بالإسلام هو الذي كان يجعلهم يتمسكون به ويشجعهم على الانضمام إلى مجتمع متحضر يتطلب منهم التخلي عن كثير من عاداتهم وتقاليدهم البربرية إذا صح التعبير ، إذ أن مجرد الدخول في الإسلام يدل ضمنا الترقي في الحضارة وخطوة جدية لتقدم القبيلة الزنجية عقلياً ، فقوى التحضر والخير كانت لا تجد صعوبة في القضاء تدريجياً على ما كان يكتسبه الأفريقي من عادات وتقاليد وثنية ، إذ أن أقبح الرذائل وهي أكل لحوم البشر ، وتقديم الإنسان كقربان ، ووأد البنات وهن أحياء كل ذلك اختفى وإلى الأبد بدخول الأفارقة في الإسلام وفي باب التعامل مع مكتسبات الحضارة الأفريقية القديمة والقضاء على الوثني منها بشكل تدريجي من خلال إقناع الداخلين الجدد في الإسلام[١٢]

بعدم فائدة تلك العادات والتقاليد ، فقد أبقى الإسلام على عادة التتريب لدى الأفارقة حتى اقتنعوا أنفسهم بتركها ، وهي العادة التي يعمل من خلالها المواطن الأفريقي بوضع التراب على رأسه إذا ما امتدحه الملك أو السلطان والتي استمر عليها البعض حتى وقت متأخر ، إلا أن دعوة الإسلام للنظافة والتطهر دفعت الكثير من الأفارقة حكاماً ومحكومين لنبذ تلك العادة وتركها إلا أن أهم تحول طرأ على الحضارة الأفريقية بعد انتشار الإسلام في المنطقة يتمثل في القضاء على العصبية القبلية التي كانت سائدة والتي بني المجتمع الأفريقي عليها من خلال عد رئيس القبيلة الممثل الوحيد لأبناء القبيلة أمام أرواح الأسلاف أو أمام الآلهة الأخرى ، فضلاً عن ذلك فأن العديد من المعارك قد جرت قبل إسلام الأفارقة بين أبناء القرى المتجاورة والتي كان يسقط فيها عدد كبير من القتلى من الجانبين فضلاً عن أعداد أخرى تحول إلى رقيق يحصل عليها المنتصر في تلك المعارك ويبدو أن تلك العصبية القبلية قضي عليها وتحولت إلى تعاون ومحبة وارتباط كامل بالأمة الإسلامية التي تحتضن الجميع وتجعل من التقوى المقياس الحقيقي للتميز[١٣]

إن ذلك التحول الطارئ في الحضارة الأفريقية أتى أكله بمرور الزمن ولاسيما حينما تكونت ممالك ودول إسلامية في المنطقة حاولت تقليد كل مفاصل الحضارة الإسلامية في المشرق والمغرب ، فتلاحظ الحاكم أو الملك في تلك الممالك يتخذ له أسما ولقباً مشابهاً لأسماء وألقاب الخلفاء الراشدين كاسم أبو بكر في إشارة إلى سيدنا أبو بكر الصديق الله ، أخر تسمى بالهادي العثماني تيمناً بسيدنا عثمان بن عفان الله ، آخرين أدعو النسب لقائد عربي شجاع وهو سيف بن ذي يزن ، أما أهل مملكة غانة فقد سموا عاصمة دولتهم بمدينة (صالح) وقالوا أن ذلك الرجل من نسل سيدنا الحسن بن علي العلي [١٤]

كما عمل أولئك الحكام على لبس العمامة وهي إشارة لتقليد الخلفاء العباسيين في بغداد ، وصبغوا مجالسهم بصبغة أولئك الخلفاء من خلال زيادة أعداد الحرس والعبيد والجواري ، وتقريب كل ذي علم ومعرفة قادم من بلاد المسلمين الأخرى ، فضلاً عن بناء قصورهم بشكل يشابه أو يتغلب على الطراز المعماري المغربي أو الأندلسي أو المصري من خلال جلب بنائين ومهندسين إلى أفريقيا ليعملوا على تنفيذ ما يطلبه ذلك السلطان وعمل حكام أفريقيا على إفهام الآخرين بان أفريقيا تمتلك من الأموال ما يجعلها في مصاف الدول الغنية والمعروفة في تلك الفترة ، وأن الحضارة الإسلامية قد وصلتها وأنت أكلها وهو ما أراد السلطان موسى بن أبي بكر ٧١٢-٧٣٧هـ / ١٣١٢-١٣٣٧م) أن يظهره للسلطان المصري محمد بن قلاوون هو سلطان مصر الذي اقهر العسكر الناصر محمد بن قلاوون [١٥] خلال رحلة الأول للحج سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) لاسيما حينما جلب معه ألاف من العبيد والجواري ودعا كل من يريد الحج من قومه للذهاب معه ، كما أخذ معه كميات كبيرة من الذهب ليمنحها هدية للسلطان المصري ، أو يوزعها على كل من صادفه في طريقه من غني أو فقير ، واشترى بالكمية الباقية ما يحتاجه ولم يقتصر الأمر على ذلك بل شمل إفهام العالم الإسلامي أن الإسلام وحضارته قد وصلا إلى أفريقيا وأن السكان متمسكين بهما كثيراً ، فقد رفض سلطان دولة مالي موسى بن أبي بكر التكروري الانحناء أو

السجود للسلطان محمد بن قلاوون عندما مر بمصر خلال رحلته لأداء فريضة الحج ، قائلاً : (أنا مسلم ومالكي المذهب فلا اسجد لغير الله تعالى) ، وقد قدر السلطان (قلاوون) الأمر وقابله وأكرمه مانحاً إياه الكثير من الهدايا والتي ضمت قصراً كبيراً في مصر لذلك السلطان المالي ، كما أن السلطان موسى عمل على جلب عدد كبير من كتب المالكية من الحجاز إلى بلاده ليفقه شعبه بذلك المذهب الذي وصلهم من بلاد المغرب الإسلامي وكان السلطان موسى وخليفته أخيه السلطان سليمان بن أبي بكر التكروري -٧٤٢ ٧٦٢هـ / ١٣٤١ - ١٣٦٠م) [١٥]

من أشد حكام أفريقيا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي تمسكاً بالعدل والصلاح ، إذ يبدو أن مبدأ العدل من المبادئ الاجتماعية الموروثة في المجتمع الأفريقي وهي من مكتسباتهم التي حافظوا عليها ودعموها بتعاليم الإسلام ، وحينما ظلم حاكم إحدى مدن دولة مالي الإسلامية تاجراً من بربر قبيلة مسوفة عمل السلطان (سليمان) على عزل ذلك الحاكم ومعاقبته ، كما جمع وزرائه وقادة جيشه وحاشيته ونوابه على الأقاليم وقال لهم : (إني بريء من الظلم ، ومن ظلم منكم عاقبته ، ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله .[١٦]وربما يكون لعامل الأمن والأمان الذي حظيت به أفريقيا في تلك الفترة مؤشراً حقيقيا للتقدم الحضاري الذي قد نكون نفتقده حتى في يومنا هذا ، ويشير الرحالة أبن بطوطة إلى ذلك الأمان خلال رحلته من إحدى المدن إلى العاصمة قائلاً : لما عزمت على السفر إلى (مالي) العاصمة وبينها وبين ايوالاتن (مدينة تقع قريباً من حدود الصحراء الكبرى الشمالية مسيرة أربع وعشرين يوماً للمجد (أي للمسرع) ، أكثريت دليلاً من مسوفة ، إذ لا حاجة إلى السفر في رفقة لأمن تلك الطريق ، وخرجت في ثلاثة من أصحابي. إن الأمر الذي سهل عملية التحول الحضاري في أفريقيا يتمثل في مجموع الميزات التي حملتها الحضارة الإسلامية التي وصلت بشكل سريع ومفاجئ إلى المنطقة وتقبلها السكان ، فالداعية إلى الإسلام بين القبائل الوثنية على ثقة في الاستجابة السريعة له ، فهو يستطيع أن يمنحهم حقائق كثيرة تتعلق بالله والإنسان تصل إلى قلوبهم وتنمي إدراكهم

وتمنحهم ترخيصاً بالدخول في وحدة اجتماعية وسياسية كبيرة تعطيه الحماية والمساعدة في تسيير حياته ويصبح ذلك الأفريقي الأسود أخاً للمسلم الذي دعاه للإسلام مهما كان لون بشرته سوداء أم بيضاء وهو ما استطاع الإسلام أن ينجح فيه في أفريقيا ، على عكس الداعين للمسيحية هناك والمعتبرين أن المسيحي الأبيض هو السيد والمسيحي الأسود العبد وهو سبب فشلهم هناك ويبدو من خلال ما تقدم أن مكتسبات الحضارة الأفريقية [١٧]

ولاسيما الهوية واللغة كانت باقية مع التحول الذي حصل حينما دخل الإسلام وحضارته إلى أفريقيا ، وأن المسلمين قد تعاملوا مع اعتزاز الأفارقة بهويتهم ولغتهم بشكل إيجابي شجع الأفارقة على دخول الإسلام والاندماج في الحضارة الإسلامية ، وهو عكس ما حصل حينما حصل تغير حضاري أخر في القارة لاسيما مع وصول البرتغاليين ومن ثم الانكليز والفرنسيين وغيرهم ومحاولتهم طمس تاريخ وحضارة أفريقيا ، ومحاولة القضاء على كل ما يصل المنطقة بتاريخ وحضارة العرب المسلمين من خلال ربط أفريقيا بالغرب المسيحي هوية وتاريخاً وحضارة ، ومن ثم القضاء على اللغة العربية هناك من خلال الترغيب باللغات المحلية الأفريقية وبالتالي القضاء عليها أيضاً ليحل بدلاً عنها اللغة الانكليزية والفرنسية وهو ما عانت وتعاني منه تلك المنطقة [١٨]

ألمحور الثالث

التاريخ الحضاري لاحداث تاريخ غرب آسيا القديم

تبقى دراستنا للتاريخ والحضاري لشعوب اقطار آسيا القديمة ولأحداث اية حقبة زمنية من تاريخ البشرية اشبه بقصة مفككة الأحداث ، مهلهلة الأفكار ، اذا لم تحدد هذه الأحداث والوقائع التاريخية والانجازات الحضارية بارقام زمنية متسلسلة احيانا ومتعاصرة احيانا اخرى ، بحيث تمكننا من تعقب هذه ها التطورات وتشخيصها بصورة مستقلة بذاتها أو مرتبطة بغيرها ، ثم من تبين اثر هذه التطورات على نظيرها وتأثرها به . وعندها فقط نخرج بدراسة منسقة الأحداث مرتبة الفصول والمراحل لتطورات هذه الشعوب . كذلك تسهل علينا هذه الأرقام الزمنية

موضوع تقويم سرعة هذه التطورات والانجازات الحضارية والسياسية للانسانية جمعاء . لذلك وجد العلماء أن الحاجة تقضي بوضع تقويم زمني يعتمد في الدراسات الحضارية والسياسية لتاريخ شعوب اقطار غرب آسية القديمة[١٩]

ولم يكن طريقهم الى هذه الغاية سهلا ، وهو لا يزال في بعض مراحله شائكا معقدا لعدم وجود تقويم واحد الجميع دويلات المنطقة وممالكها في تاريخ أحداثها السياسية . لقد استخدمت كل دويلة او مملكة منها تقويماً زمنياً خاصاً بها ، وتناول هذا التقويم مدة حكم ملك واحد فقط ، أي انها كانت تؤرخ الأحداث السياسية نسبة الى عهد الملك أو بناء على عدد السنين التي جلس كل ملك خلالها على العرش ، ونطلق على هذا الاسلوب اسم التقويم الملكي . فالمعارك الحربية وتشييد الأبنية كالمعابد والقصور وغيرها من المنشآت كانت تؤرخ بناء على هذا التقويم المحدود. وعلى سبيل المثال كان الكاتب القديم يؤرخ وقوع الحدث على الشكل التالي في عام الحكم الملك احتلت مدينة أو شيد المعبد وقد تمكن العلماء من تذليل هذه الصعاب بالأناة والصبر والمثابرة على البحث والتنقيب فأوجدوا نقاط استناد اعتمدوها في عملية التاريخ ، فكان أولها المعاصرة وثانيها تعدد مصادر ذكر الأحداث وثالثها الحوليات الملكية ورابعها الظواهر الفلكية [٢٠]

أولاً : المعاصرة

وتعني تعاصر حكم ملكين أو أكثر . فمثلا تبرهن الوثائق التي وجدت في مدينة «اشنونا» و «ماري» ان «ابي – بعل» ملك «اشنونا» و «زيمر يليم» ملك «ماري» و «حمورابي ملك بابل» و «ريم – سن» ملك الارساء ومعهم شمشي حدد) الأول ملك «آشور» قد تعاصروا في حكمهم لمدنهم أو لممالكهم لفترة من الزمن . ولم تساعدنا هذه الطريقة فقط ، في تحديد تاريخ احداث دويلات المدن المتجاورة بل ساعدتنا ايضا في تحديد تاريخ احقاب كاملة من تاريخ اقطار تفصل بينها مسافات شاسعة : فمثلا نستنتج من المراسلات الديبلوماسية التي عثر على نصوصها في تل العمارنة في مصر ان الملك اخناتون كان معاصرا للملك الميتاني

توشراتا وللملك الحثي شوبيلوليوما وللملك الكاشي بورنا – بورياش وللملك الأشوري اشور – موبليط [٢١]

ويؤكد لنا نص معاهدة الصلح الحثية –المصرية ان الملك المصري رعمسيس الثاني قد عاصر خلال حكمه الملوك الحثيين مواواتالي» و «اورشي – تيشوب» و «خاتوشيلي» الثالث .

ثانياً : تعدد مصادر ذكر الحدث التاريخي الواحد

ويتفرع عن «التقويم الملكي اسلوب آخر يفوقه دقة وشمولا ، وهو ما نسميه الحوليات الملكية المتسلسلة لملوك عديدين حكموا بالتعاقب لفترة طويلة من الزمن . وقد اعتمد بعض الملوك الآشوريين هذا الاسلوب المتطور في التاريخ وثبتوه في كتاباتهم التي وصلنا جزء كبير منها . وتبين لنا هذه الحوليات ان الملك الأشوري توكولتي – نينورتا الأول حكم قبل سانحيريب بحوالي ٤٠٠ سنة وان الملك الأشوري اشور – بانيبال غزا أرض عيلام حوالي ٦٣٩/٦٣٨ ق. م. ، ووجد هناك تمثالا للربة البابلية (نانا ، كان الملك العيلامي شوتر وك – ناخونتي قد نقله الى بلاده من بين غنائم حربه ضد (بابل) خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد . والأمر الذي يزيد من أهمية هذه الحوليات انها تسمي الأعوام بأسماء الملوك الحاكمين ، مما يجعلها اكثر دقة من سابقاتها [٢٢]

ثالثاً : الظواهر الطبيعية

والى جانب ذلك كله ، هناك نصوص بالخط المسماري ، تذكر لنا بعض الظواهر الطبيعية وخاصة الفلكية منها مثل كسوف الشمس . وقد حاول الكتاب الكلاسيكيون الاستعانة بها في تاريخهم احداث تاريخ اقطار غرب آسية القديم، فذكروا ان حكم الملك البابلي نيبوخد – نصار قد بدأ في عام يعادل ٧٤٧ ق . م .وقد ورد ايضا في احد التقارير الحولية الأشورية ان كسوفا للشمس قد حدث خلال حكم احد الملوك الأشوريين وقد حدد هذا الكسوف بالوسائل العلمية الحديثة في ١٥ حزيران (يونيو) من عام ٧٦٣ ق . م وتيسر لنا هذه الحقيقة ان نحدد تعاقب الملوك الأشوريين في الحكم بشكل صحيح ودقيق حتى عام ٩١١ ق. م[٢٣]

ولم ينته العلماء من تاريخ حقبة كاملة حتى وضعوا بداية تاريخ الحقبة اللاحقة لها ، تارة بالاستناد الى الحوليات الملكية واخرى بالاعتماد على تعدد مصادر ذكر الحدث الواحد وعلى تعاصر الملوك في فترات حكمهم حتى استطاع بعضهم اخيرا ان يحدد حكم الملك البابلي «حمورابي بصحة نسبية تصل الى ٩٥٪ من التاريخ المطلق . ولا يزال الخلل الزمني يعتري ابحاثنا حول بعض العصور اللاحقة لعهد «حمورابي وخاصة خلال العصر الكاشي في بلاد ما بين النهرين ويزداد ايضا الخلل الزمني في تاريخنا للحقب السابقة لعصر حمورابي اذ لا نكاد نصل بداية الألف الرابع قبل الميلاد حتى نجد صحة ارقامنا لا تتجاوز حتى الآن الـ ٨٠٪ من التاريخ المطلق ، وفي هذه الحالة نسميها التاريخات النسبية ونتيجة لذلك توجد الآن ثلاث طرق في احدث البحوث والمؤلفات التي نشرت حول حضارات غرب آسيا القديمة تعرّف عادة بتعبير التاريخ الطويل والتاريخ المتوسطه ثم التاريخ القصير ، الذي تحدد بموجبه فترة حكم «حمورابي) البابلي من ١٧٢٨ الى ١٦٨٦ ق . م . . وهو تاريخ اخذت به في هذا المؤلف ، لأني أراه أكثر دقة من التاريخين الآخرين [٢٤]

من المستشرقين الذي منحوا انتشار الإسلام في العالم، وفي آسيا الوسطى على وجه التحديد عنايتهم الكبيرة هو المستشرق الإنجليزي أرنولد توماس في كتابه " الدعوة إلى الإسلام" "The Preaching of Islam" ، وهو من المؤرخين القلائل الذين تنبهوا إلى دراسة وتحليل ظاهرة انتشارة الإسلام في شتى البلاد، وقد وقف على العديد من جوانب التأثير العربي على شعوب الترك في آسيا الوسطى، ويعتقد، واعتقاده على درجة عالية من الأهمية والصحة، إن الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام لم تلق الاهتمام الكافي من قبل الفاتحين في توثيق وسائل انتشارها، ولا وجدت نفس الاهتمام عند المؤرخين العرب المعاصرين ولا حتى التي جاءت بعد الفتح العربي [٢٥]

لأسيا الوسطى، وإذا رجعنا الى المصادر العربية الأولى والمتأخرة نجدها تفتقد لمثل هذه الدراسات الهامة التي تعالج أخطر وأهم الموضوعات الإنسانية على الإطلاق، فهي من

نتاج الفتح، ومن نتاج الإعداد العسكري والنفسي السليم وكذلك من نتاج الهيكل السياسي (الخلافة) عند العرب ثم يجاول أرنولد إقناع القارئ بأن مهمة القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي، لا سيما فتحه المدينة سمر قند، لا تعدو عن كونها ممارسة همجية صرفة قادها ذلك القائد العربي ضد معتقدات السكان الأصليين، ويتخذ من رواية البلاذري سنداً له، حيث ورد عند البلاذري وجود كفار وثنيين في مدينة سمر قند، حيث أمر قتيبة بتحطيم الأصنام وتدمير المعابد الوثنية، مما دفع بسكان المدينة خوفاً وفزعاً إلى اعتناق الإسلام ونلاحظ أن أرنولد [٢٦] اعتمد بشكل مطلق على مؤلفات العرب والمسلمين أثناء حديثه عن انتشار الإسلام في آسيا الوسطى، وانتقى منها تاريخ بخارى للنرشخي، وفتوح البلدان للبلاذري، وتاريخ الطبري ولكي ننصف أرنولد، فإنه اقتبس اقتباساً واحداً للنرشخي، وأربعة اقتباسات للبلاذري واقتباس واحد للطبري، وهو ما يشير الى أسلوب الانتقائية في أخذ النصوص المروية، والتي حاول المستشرق توظيفها لغايات الدراسة، وتلك الروايات في أغلبها، حملت أشكالا متنوعة من وسائل القتال وطرق تعامل العرب مع الشعوب التركية، متناسياً تنوع الأساليب وتعدد الآليات والوسائل السلمية التي استخدمها العرب وصولاً الى نشر الإسلام بين شعوب آسيا الوسطى. فقد أشار الى رواية النرشخي التي يتحدث خلالها عن مدينتي بخارى وسمر قند، والمعارضة الشديدة التي أعلنها سكانها تجاه الدين الإسلامي الجديد الذي فرضه العرب عليهم، بحيث حرمتهم الدولة العربية من الانخراط في المؤسسة العسكرية (الجيش) والخدمة فيها باستثناء من أعتنق الإسلام منهم، وقد حاول المسلمون بطرق مختلفة اجتذاب سكان سمرقند وبخارى لقبول الإسلام واعتناقه، فكان يفرض عليهم بالترهيب والترغيب الحضور الى المسجد الجامع لإقامة صلاة الجمعة[٢٧]

كما وسمح بترجمة نصوص القرآن الكريم الى الفارسية لتعليم الناس، بالإضافة إلى التعليم باللغة العربية، وقد أقتبس ذلك من البلاذري ثم يقول وفقاً لرواية البلاذري بأن تقدم الإسلام في بلاد ما وراء النهر ظل ذا تأثير بطيء، وأن بعض سكان المناطق قبلوا دعوة عمر بن عبد العزيز لاعتناق الإسلام، وأن الكثيرين دخلوا في الإسلام عن طريق الدعوة التي قادها أبو سعدة حيث أعلن عن دعوته في مدينة سمر قند في عهد هشام بن عبد الملك اما المستشرق الروسي

بارتولد الذي تعمق بدراسات تاريخ العرب والمسلمين في بلاد ما وراء النهر آسيا الوسطى من خلال مؤلفات عديدة أهمها تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، وتاريخ الترك في آسيا والوسطى، نراه لا يهتم بتسليط الأضواء على مؤثرات العرب المسلمين على شعوب آسيا الوسطى، سواء من الناحية الدينية أو الثقافية، بل حاول تقديم جملة من الأفكار السياسية ذات الصلة بالحوادث التاريخية، وذلك لإبرازها سياسياً وتاريخيا مركزا على فتوحات العرب الأولى للمنطقة، ونلاحظ أنه عن عمد أو عن غير عمد. يتغاضى كلية عن ذكر آليات العمل التي نفذها العرب لتحقيق أهدافهم من الفتح، خاصة ضمان سيطرتهم المباشرة على مقدرات آسيا الوسطى وشعوبها وبالتالي تهيئة المناخ لنشر العقيدة الإسلامية وثقافتها، ونلمس من جهة ثانية، أن لدى المؤرخ ثوابت وقناعات تنوه الى دوافع الفتح العربي الذي يراه بارتولد ذا طابع مادي واقتصادي بحت حيث يقول: [٢٨]

ورغماً مما يصور بعض هذه الوقائع التاريخية من شكوك فإن روايات المؤرخين تقدم لنا فكرة واضحة بما فيه الكفاية تعاون على فهم روح ذلك العصر، ولا تترك مجال للارتياب في أن الهدف الأساسي للغزاة إنما كان الغنائم والمجد الشخصي، هذا بينما شغل الجانب الديني على وجه العموم دوراً ضئيلاً، سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة لأهل البلاد الذين كانوا يذودون عن أوطانهم [٢٩]

وفي موقع آخر، يشير بارتولد إلى تعاون عسكري كبير بين بعض أمراء وملوك آسيا الوسطى مع قتيبة بن مسلم الباهلي، وأطلق على هذا التعاون بكلمات تقلل من قوته، حيث قال: وهو – أي قتيبة بالتجانه الى استعمال الحيلة والغدر حينما لم تجد الشجاعة، كان أول من ثبت دعائم السيطرة العربية على بلاد ما وراء النهر. وقد استغل قتيبة إلى درجة كبيرة الشقاق والخلاف بين أهالي البلاد، ففي عام ٨٦هـ / ٧٠٥م دعاه أمير الصغانيان بنفسه ليعاون ضد عدوه ملك آفرون وشومان، وفي عام ٩٤هـ / ٧١٢م زحف قتيبة على خوارزم المعاونة خوارز مشاه ضد أخيه الأصغر، والدهاقنة الثائرين عليه [٣٠]

وفي ذلك العام نفسه عاون أمل خوارزم وبخارى قتيبة بحماس شديد في حملته على سمرقند، مما جعل غورك إخشيد السعد يعيره بقوله: "إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي من العجم فاخرج إلى العرب وعندما نتفحص كتاب تركستان نجد بارتولد في هامش كتابه يقتبس ذلك من تاريخ الطبري، والتي أطلق حكمه عليه مباشرة دون تقليب بقية المصادر الأخرى، الأمر الذي يجعلنا نميل إلى أن هؤلاء الأمراء إنما التجأوا الى جيش قتيبة، إما بدافع سياسي وصولا إلى تحقيق مكاسب شخصية على حساب الممالك والإمارات التركية الضعيفة، أو بداية تعايش سلمي لهؤلاء مع ما جا به العرب من ثقافة وعقيدة جدييتين، وبأقل تقدير، فإن الأتراك قبلوا بالعرب سلطة مهيمنة على مقدرات بلادهم على الرغم مما تحمله حملة العرب من مؤثرات سياسية واقتصادية وثقافية وعقائدية ربما تجد طريقها للتأثير على شعوب الترك في آسيا الوسطى بيسر وسهولة وفي مؤلفة الشهير "تاريخ الترك في آسيا الوسطى يعاود بارتولد التأكيد على أن العرب قد أحرزوا أهم انتصاراتهم في آسيا الوسطى أثناء ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان بين ٧٦هـ / ٩٨م (٧٠٥م-٧١٥م) .... ثم يذهب إلى أنه برغم أن الأتراك لم يستسلموا الأسلحة المسلمين[٣١]

فإن تأثير المدينة الغربية عليهم قوي بعد دخول المسلمين في آسيا الوسطى والحقيقة أن بارتولد حاول مراراً التغاضي عن مسألة اهتمام الفاتحين العرب بنشر الإسلام في آسيا الوسطى وقد أدرك فامبري بعد مطالعاته المتعمقة لتاريخ الفتح العربي لأسيا الوسطى قوة التخطيط وبراعة التنظيم لدى العرب الفاتحين، والتي من خلال ممارستهم لها وتطبيقها على واقع الحياة التركية، جعلهم يستحوذون على مقدرات البلاد وينتزعون القرار من حكامها، ولذلك أدرك سكان بخارى وسمرقند و خوارزم وغيرها أنهم لا طاقة لهم في مواجهة الطرق والأساليب التي استخدمها العرب لحملهم على اعتناق الإسلام، أمر العرب بأن يساكن كل واحد من أهل بخارى مثلاً في داره أحد العرب، وبهذا أصبح الشريك الجديد عينا على الأسرة التي يساكنها، يراقب سلوك هؤلاء الذين دخلوا الإسلام ويفقههم في أمور دينهم وينبيء ولي الأمر عمن يرتد منهم عن الدين ونلاحظ أن المؤرخ فامبري رصد الكثير من

الطرق والوسائل التي استخدمها العرب المسلمون في نشر دينهم وثقافتهم وسط شعوب أسيا الوسطى، ولا نشك بأن فامبري قد حصل عليها في المصادر العربية الأولى ورغم ذلك فحسبه أنه نوه إلى ثلاث قضايا مما عمل على تنفيذها العرب المسلمين [٣٢]

١. رصدت جوائز مالية لمن يظهر تمسكه بدينه من الأتراك، وكل من يصلي منهم بمسجد قتيبة الذي بني عام ٩٤هـ / ٧٤٢م في مدينة بخارى، يصيبه درهمان ، وكذلك في غيره من دور الصلاة .
٢. كان القرآن يقرأ بالفارسية لا بالعربية تيسيراً على الناس .
٣. وحين رأى العرب أنهم لم يحققوا أهدافهم برغم ما عمدوا إليه من ممارسات فعالة تجاه شعوب الأتراك، انتزعوا بخارى من أيدي أهلها وقسموها بين العرب[٣٣]

الخاتمة

تُبرز خاتمة البحث أثر العرب الكبير في الثقافات الآسيوية والأفريقية من خلال نشر الإسلام واللغة العربية، وتأسيس مراكز حضارية وعلمية كبرى، وإنشاء شبكات تجارية ربطت الشرق والغرب، مما أدى إلى ازدهار التجارة وتبادل المعارف والعلوم بين مختلف الحضارات، وهو ما يظهر بوضوح في التأثير الثقافي والديني والاقتصادي الذي امتد عبر مساحات شاسعة من القارتين، ويؤكد على الدور المحوري للعرب في تشكيل نسيج الحضارات الإنسانية.

١. نشر الإسلام واللغة العربية: ساهم انتشار الإسلام عبر الفتوحات والتجار العرب في نشر اللغة العربية كلغة للدين والعلم، مما أدى إلى توحيد مجتمعات متنوعة ثقافيًا في آسيا وأفريقيا.
٢. ازدهار حركة الترجمة والعلوم: ساعدت حركة الترجمة في العصر العباسي على نقل المعارف من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية إلى العربية، مما أدى إلى حفظ التراث العلمي القديم وتطويره، وقيام مراكز علمية كبرى مثل بيت الحكمة في بغداد.

٣. تأسيس شبكات تجارية: ربطت شبكات التجارة التي أسسها العرب بين شمال أفريقيا ووسط أفريقيا، وكذلك بين سواحل شرق أفريقيا والمحيط الهندي، مما عزز التبادل التجاري والثقافي بين مختلف المناطق.

٤. تأثير حضاري متبادل: أدى تفاعل العرب مع الشعوب المفتوحة إلى تبادل الأفكار والمعارف، حيث استلهموا من حضارات سابقة وطوروها، وساهموا بدورهم في نقل هذه المعرفة إلى مناطق أخرى، مثلما حدث مع الحضارة الأوروبية التي استفادت من علوم الشرق.

٥. إسهامات في الفنون والعلوم: ساهم العرب في تقدم علوم الطب والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والهندسة وغيرها، وقدموا إبداعات أثرت في الحضارة الإنسانية بشكل عام، كما يظهر في التأثير العربي على العمارة والفنون والعلوم في المناطق التي وصلوا إليها.

المصادر والمراجع

١. أبن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، اعتنى به وراجعه : درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

٢. أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، ١٩٥٦ .

٣. أبي عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، الجزائر ، ١٨٥٧ .

٤. آرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٥. إسماعيل العربي ، مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى ، مقال منشور في مجلة الثقافة الصادرة ٤٢. في الجزائر ، العدد ٦٢ ، ١٩٨١ .

٦.توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٠

٧.أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، ط١، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨٧ .

٦. البكري ، أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، الجزائر : ١٨٥٧

٧. بوزورت ، شاخت ، تراث الإسلام ، ترجمة : محمد زهير السمهوري ، الكويت ، ١٩٧٨ .

٨. الدجيلي ، خولة شاكر محمد ، العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الشرقي الأفريقي حتى القرن التاسع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

٩. الدجيلي ، خولة شاكر محمد . ، العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الشرقي الأفريقي حتى القرن التاسع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

١٠. دريد عبد القادر نوري ، تاريخ الإسلام في أفريقيا من القرن ٤-١٠هـ / ١٠-١٦م ، الموصل ، ١٩٨٥ .

١١. سلوم ، داؤد ، الألفاظ المستعارة من العربية في اللغة السواحلية ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بغداد ، العدد ١٩ ، ١٩٧٦ .

١٢. السنغاي ، وهي إحدى الدول الإسلامية التي قامت في السودان الغربي ابتدأ من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وتمكنت من أن تقيم دولة واسعة على طرفي نهر النيجر متخذة من مدينة غاو عاصمة لها . ينظر : نوري ، تاريخ الإسلام ، ١٩٩٨م .

١٣. سوسة ، أحمد ، الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية ، الباب الأول ، ١٩٧٤ .

١٤. شاخت وبوزورت ، تراث الإسلام ، ترجمة : محمد زهير السمهوري ، الكويت ، القسم الأول ، ١٩٧٨ .

١٥. الشكري ، أحمد ، الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي ١٢٥٠-١٤٣٠م ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٩٩٩ .
١٦. طرخان ، إبراهيم علي ، دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
١٧. عبد السميع المصري ، التجارة في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
١٨. العربي، إسماعيل ، مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى ، مقال منشور في مجلة الثقافة الصادرة في الجزائر ، العدد ٦٢ ، ١٩٨١ .
١٩. عطار ، أحمد ، إنسانية الإسلام ، ، بيروت ، ١٩٩٠ .
٢٠. العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله ، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر ، تحقيق وتعليق : مصطفى أبو ضيف أحمد ، ط ١ ، الرباط ، ١٩٨٨.
٢١. فتاح ، فوزية يونس ، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي بين القرنين ٤-٨هـ/ ١٠-١٤م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٤.
٢٢. قاسم ، جمال زكريا ، الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر ، بحث في كتاب العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
٢٣. القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٧ .
٢٤. محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، اعتنى به وراجعه : درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ج٢ ، ٢٠٠٧ .
٢٥. مخايل مسعود و ساجيع الجبيلة ، الحضارات الصراع والحوار ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

٢٦. توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٠

٢٧. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

٢٨. المصري ، عبد السميع ، التجارة في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٢٩. المقريزي ، أحمد بن علي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٣٠. نوري ، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون ٤-٨هـ / ١٠-١٦م ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين ، العدد الثلاثون ، ١٩٧٨ .

٣١. نوري ، دريد عبد القادر ، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون ٤-٨هـ / ١٠-١٦م ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين ، العدد الثلاثون ، ١٩٩١ .

٣٢. نوري ، دريد عبد القادر ، تاريخ الإسلام في أفريقيا من القرن ٤-١٠هـ / ١٠-١٦م ، الموصل ، ١٩٨٥ .

الهوامش:

[١] دريد عبد القادر نوري ، تاريخ الإسلام في أفريقيا من القرن ٤-١٠هـ / ١٠-١٦م ، الموصل ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٤ .

[٢] عبد السميع المصري ، التجارة في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٤ .

[٣] إسماعيل العربي ، مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى ، مقال منشور في مجلة الثقافة الصادرة في الجزائر ، العدد ٦٢ ، ١٩٨١ ، ص ٤٢ .٤٢

[٤] أبي عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، الجزائر ، ١٨٥٧ ، ص١٧٥ .

[٥] مخايل مسعود و ساجيع الجبيلة ، الحضارات الصراع والحوار ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص٢٧

[٦] محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، اعتنى به وراجعه : درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ج٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٨٢ .

[٧] شاخت وبوزورت ، تراث الإسلام ، ترجمة : محمد زهير السمهوري ، الكويت ، القسم الأول ، ١٩٧٨ ، ١٦٢.

[٨] نوري ، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون ٤-٨هـ / ١٠-١٦م ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين ، العدد الثلاثون ، ١٩٧٨ ، ص ٩٤ .

[٩] توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٣٩٨ .

[١٠] السنغاي ، وهي إحدى الدول الإسلامية التي قامت في السودان الغربي ابتدأ من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وتمكنت من أن تقيم دولة واسعة على طرفي نهر النيجر متخذة من مدينة غاو عاصمة لها . ينظر : نوري ، تاريخ الإسلام ، ١٩٩٨م ، ص ١٥٥ .

[١١] أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، ط١، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص٢٦٩ .

[١٢] البكري ، أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، الجزائر : ١٨٥٧، ص ١٧٥ .

[١٣] أبن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، اعتنى به وراجعه : درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٣ .

[١٤] أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ،١٩٥٦ ، ص ٢٥ .

[١٥] القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٧٧ .

[١٦] المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٦٥ .

[١٧] المقريزي ، أحمد بن علي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٨٩ .

[١٨] آرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣.

[١٩] بوزورت ، شاخت ، تراث الإسلام ، ترجمة : محمد زهير السمهوري ، الكويت ، ١٩٧٨ ، ص ٤٥ .

[٢٠] سوسة ، أحمد ، الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية ، الباب الأول ، ١٩٧٤ ، ص ٥٣ .

[٢١] الشكري ، أحمد ، الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي ١٢٥٠-١٤٣٠م ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٩٩٩ ، ص ٥٦ .

[٢٢] طرخان ، إبراهيم علي ، دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٨٩ .

[٢٣] عطار ، أحمد ، إنسانية الإسلام ، ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٣٥ .

[٢٤] المصري ، عبد السميع ، التجارة في الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٤٤ .

[٢٥] مسعود ، مخايل و ساجيع الجبيلة ، الحضارات الصراع والحوار، المؤسسة الحديثة للكتاب ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ٨٦ .

[٢٦] توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

[٢٧] سلوم ، داؤد ، الألفاظ المستعارة من العربية في اللغة السواحلية ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بغداد ، العدد ١٩ ، ١٩٧٦ ، ص ٧٣ .

[٢٨] العربي، إسماعيل ، مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى ، مقال منشور في مجلة الثقافة الصادرة في الجزائر ، العدد ٦٢ ، ١٩٨١ ، ص ٧٢ .

[٢٩] قاسم ، جمال زكريا ، الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر ، بحث في كتاب العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥ .

[٣٠] نوري ، دريد عبد القادر ، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون ٤-٨هـ / ١٠-١٦م ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين ، العدد الثلاثون ، ١٩٩١ ، ص ٦٧ .

[٣١] الدجيلي ، خولة شاكر محمد ، العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الشرقي الأفريقي حتى القرن التاسع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١١٢ .

[٣٢] الدجيلي ، خولة شاكر محمد . ، العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الشرقي الأفريقي حتى القرن التاسع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٥١ .

[٣٣] فتاح ، فوزية يونس ، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي بين القرنين ٤-٨هـ/ ١٠-١٤م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٩٤ ، ص ٩٩.